(٥)

قانون الحرية الدينية فى العالم : آليات تنفيذه وتداعياته

أوجد قانون الحرية الدينية الذى تم إقراره فى أكتوبر ١٩٩٨ آليتين لمتابعة أحوال الحرية الدينية وأوضاع الاضطهاد الدينى فى العالم. **الآلية الأولى** : تعيين سفير فوق العادة لشئون الحريات الدينية فى العالم. **الآلية الثانية** : لجنة لشئون الحرية الدينية فى دول العالم تضم شخصيات عامة معنية بهذا الموضوع . ويستخدم السفير واللجنة فى عملهما ثلاث وسائل هى(*) :

(*) تسمى هذه اللجنة : اللجنة الأمريكية للحرية الدينية فى العالم

The U.S. Commission on International Religious Freedom. (U.S. CIRF).

والتى شكلت بموجب القانون وتعتبر امتدادًا لما سمى: باللجنة الاستشارية للحرية الدينية.

Advisory Committee on Religious Freedom Abroad (ACRFA).

ولفائدة القارئ سنحاول إلقاء الضوء على طبيعة عمل هذه اللجنة خاصة وأنه أثناء إعدادنا لهذا النص، قامت اللجنة الأمريكية للحرية الدينية بإيفاد ثلاثة من أعضاءها لزيارة مصر خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ مارس ٢٠٠١م. وقد عكست ردود الفعل المتنوعة حول زيارة اللجنة المصغرة عدم معرفة بطبيعة اللجنة بحسب القانون : هل هى برلمانية أم شعبية أم حكومية ؟ وما هى حدود دورها : هل هى استشارية أم تنفيذية ؟.

كذلك أوضحت ردود الفعل غياب التقدير الكافى لتداعيات القانون ، كذلك افتقاد استراتيجية شاملة للمواجهة ، خاصة وأن هذه اللجنة ما هى إلا تطبيق عملى للقانون وإعمالا له. وفيما يلى نبذة عن اللجنة من حيث طبيعتها ومهامها.

أولا : طبيعة اللجنة :

- تتكون اللجنة من عشرة أعضاء : السفير فوق العادة ولكن ليس له حق التصويت ، بالإضافة إلى تسعة أعضاء يكونون « مواطنين » أمريكيين United States Citizens لا يعملون فى الحكومة الأمريكية وبالتالى لا يتقاضون رواتب كموظفين بها.
- ويتم التعيين فى اللجنة من خلال اختيار تسعة أعضاء من الشخصيات البارزة المشهود لها بالمعرفة والخبرة فى مجالات الحرية الدينية والشئون الخارجية وحقوق الإنسان والقانون الدولى.

<=

Members of the Commission shall be selected among distinguished individuals noted for their knowledge and experience in fields ... of international religious freedom, ... human rights, and international law.

ويختار الرئيس ثلاثة أعضاء ليعينهم ، كما يعين رئيس مجلس النواب ثلاثة من الأعضاء على أن يكون اثنان منهم بتزكية زعيم الحزب السياسى فى مجلس النواب الذى لا يتبعه رئيس الجمهورية ، ويترك الثالث لزعيم الحزب السياسى الآخر . كما يعين رئيس مجلس الشيوخ ثلاثة أعضاء بنفس الطريقة السابقة .

- وتكون فترة العضوية لمدة عامين ويجوز مدّها .

ثانيا : مهام اللجنة :

تعنى اللجنة بما يلى :

- المراجعة السنوية والمستمرة الخاصة بالوقائع والظروف المحيطة بانتهاكات الحرية الدينية .
- المساهمة فى صناعة السياسة الأمريكية تجاه كل ما هو متصل بالرؤية الدينية فى العالم وذلك بتقديم التوصيات التى تصب فى اتجاه وضع السياسات .
- مراجعة السياسة ومتابعة التوصيات ردًّا على :

(أ) ما يقع من انتهاكات . (ب) ما يحدث من تقدم فى الأوضاع .

وذلك فى إطار تقييم سياسات الحكومة الأمريكية التى تضعها للتنفيذ أو قامت بتنفيذها ومن ثم مراجعتها ، ومن هذه السياسات : (الاستفسار الدبلوماسى - الاعتراض الدبلوماسى، اعتراضًا علنيًّا من خلال إجراءات عملية - تأجيل أو إلغاء برامج التبادل الثقافى أو العلمى - تأخير أو إلغاء الزيارات الرسمية ، وتخفيض المخصصات المالية فى برامج المساعدات أو إلغاء بعض منها - فرض عقوبات تجارية) أما إذا حدث تقدم فهناك بعض الإجراءات التى تمنحها الحكومة الأمريكية .

- دراسة تأثير التوصيات على الجاليات الدينية والأفراد .
- المراقبة والمتابعة للوقائع والملابسات الخاصة بانتهاكات الحرية الدينية ، والتشاور مع المجموعات المستقلة المعنية بحقوق الإنسان والمنظمات غير الحكومية ، بما فى ذلك الكنائس والجاليات الدينية الأخرى .

يلاحظ مما سبق وبمراجعة أسماء أعضاء اللجنة : الثقل المدنى لهؤلاء الأعضاء والدور الحزبى فى الاختيار والمهام المطلوب تنفيذها ، كما يلاحظ الطبيعة الدولية للجنة أمريكية .

ويشار هنا إلى ما جاء على لسان رئيس اللجنة التى قدمت إلى مصر فى المؤتمر الصحفى الذى عقد بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٦م ، وفى إطار تعريفه باللجنة ما نصه :

... « إن اللجنة الأمريكية للحرية الدينية الدولية ، كيان مستقل ، يمثل الحزبين (الكبيرين فى أمريكا) ، تقدم النصيحة لحكومات الولايات المتحدة فى قضايا تخص الحرية الدينية حول العالم . أعضاؤها ليسوا رسميين يعملون فى الإدارة (الأمريكية) ، ولكن مواطنين مستقلين عينوا لتقديم <=

١ ـ الزيارات الميدانية.

٢ ـ إعداد تقارير سنوية.

٣ ـ الاستجابة العملية للحالات الحادة.

وقد أوجب القانون أن يقوم السفير المعنى بإصدار تقرير سنوى فى سبتمبر من كل عام ، وأن تقوم اللجنة بإصدار تقرير سنوى يصدر فى مايو من كل عام. وبالفعل أصدر السفير تقريرين ، الأول فى سبتمبر من عام ١٩٩٩ ، والثانى فى سبتمبر ٢٠٠٠ ، كما أصدرت اللجنة تقريرها الأول فى مايو ٢٠٠٠ ، وحول محتوى وطبيعة تقريرى السفير واللجنة يمكن أن نذكر ما يلى :

□ **التقرير السنوى للسفير ويتضمن :**

- مقدمة : تبرز الخبرة الأمريكية فى مجال الحرية الدينية.

- خلفية تاريخية حول اهتمام أمريكا بهذا الموضوع وكيف تم تشريع قانون خاص بالحرية الدينية.

- دور لجنة الحرية الدينية .

- التأكيد على أن الحرية الدينية هى حجر الزاوية للديمقراطية.

النصح للرئيس ووزير الخارجية والكونجرس ... والتوصية بسياسات تهدف إلى تقدم الحرية الدينية ...».

The U.S. Commission on International Religious Freedom is an independent, bipartisan body that advises the government of the United States on issues related to religious freedom around the world. Its members are not administration officials, but private citizens ... to advise the President, Secretary of State, and Congress ... to recommend policies to promote religious freedom ...

ويؤكد ما سبق وأشرنا إليه عن الطبيعة الخاصة لهذه اللجنة ودورها وأهمية فهم ما تقوم به فى إطار إعمال القانون ، كذلك الثقل الذى يمثله كل عضو يشارك فى أعمال هذه اللجنة وأنها متجاوزة الحزبية بصورتها المباشرة وترتبط بدرجة أو بأخرى بجماعات الضغط المؤثرة ، خاصة الأصولية والتى يتضح مدى تأثيرها فى فقرات عديدة من التقارير التى تم إصدارها خلال الأعوام الماضية كذلك فى البيانات الصحفية لأعضاء اللجنة.

- الملامح الأساسية للتقرير .

- نبذة عن كيفية إعداد التقرير ولماذا .

□ **التقرير** : حيث يستعرض أوضاع الدول فى مجال الحرية الدينية ، ويرصد درجة السوء أو التحسن فى ضوء تصنيف يتم تقسيم الدول تبعًا له .

- الإجراءات التى اتخذتها أو المزمع اتخاذها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

استعراض الدول ؛ حيث يتم تقديم تقرير عن كل دولة .

وقد اتبع التقرير فى تقسيم الدول التصنيف التالى :

□ دول سلطوية وشمولية تمارس اعتداءات على المعتقد الدينى وحرية ممارسته .

□ دول معادية للأقلية أو أديان غير معترف بها .

□ دول تهمل التمييز / الاضطهاد الذى يمارس ضد الأقلية أو الأديان غير المعترف بها .

□ دول بها تشريعات تمييزية أو سياسات ضارة لأديان محددة .

□ دول تصف بعض الأديان ، خطأ ، بارتباطها بعبادات وطوائف خطرة .

التقرير السنوى للجنة الحرية الدينية(*) ويتضمن :

مقدمة :

- تبرز بدء عمل اللجنة وتعود بها إلى اللجنة التى شكلت عام ١٩٩٧ وسميت

(*) سوف نعتمد هنا على التقرير التحليلى الشامل الذى أنجزته اللجنة الاستشارية للحرية الدينية فى مايو ١٩٩٩ - قبل حلها وإعادة تشكيلها بحسب القانون - ويتضمن حصيلة خبرة اللجنة منذ تأسيسها باسم لجنة الشريط الأزرق عام ١٩٩٧ وقبل إصدار القانون ثم ما ترتب على إصدار القانون من توجيهات وتكليفات . ويعد هذا التقرير هو الأساس الذى بنى عليه تقرير اللجنة الأول الذى صدر فى مايو ٢٠٠٠ عقب إعادة تشكيلها بموجب القانون .

بلجنة الشريط الأزرق قبل إصدار القانون فى أكتوبر ١٩٩٨ ، واستمرارها فى عملها بعد إصدار القانون بآلية معينة .

- تبرز دور اللجنة فى متابعة ومناقشة أحوال الحرية الدينية فى العالم والتوصيات التى تقوم بإرسالها للإدارة الأمريكية ، ووضع المعايير التى يتم بها قياس حالة الحرية الدينية فى البلدان المختلفة كذلك اللجان الفرعية التى تقوم بتشكيلها لمهام معينة .

- كل ذلك فى ضوء الخبرة الأمريكية فى الحرية الدينية والمواثيق الدولية المتتالية .

حصيلة المناقشات : يتم صياغة حصيلة المناقشات ، بعد كتابة خلفية تاريخية حول القانون ودور اللجنة خلال هذه الفترة ، ثم تحديد المعايير التى على أساسها يتم تقسيم الوضع فى كل بلد وذلك من خلال ٤ أدوات :

(أ) المعاهدات .

(ب) الإعلانات الدولية .

(جـ) تفسيرات سلطة البلد للمعاهدات .

(د) ما يترتب على ما سبق من التزامات سياسية لابد من الدول الاضطلاع بها .

- تعريف العنف الموجه ضد الحرية الدينية وأشكاله وأسبابه .

- رصد ملاحظات عملية للجنة نتيجة للزيارات الميدانية وما تستلمه من تقارير .

- تقديم توصيات للإدارة الأمريكية .

- تدرس اللجنة الأدوات المتاحة لدى الحكومة الأمريكية حيث توجه النظر إليها وتوصى باستخدامها ، كما تضع البدائل المختلفة .

- تطرح توصيات محددة للتنفيذ على كل الأطراف المعنية :

* الإدارة الأمريكية .

* الكونجرس .

* السفارات .

* مركز التدريب القومى للشئون الخارجية .

- تشكيل اللجان الفرعية مثل :

- لجنة اللاجئين .

- لجنة للحوار مع المعنيين .

- لجنة لكيفية وفاعلية استخدام الأدوات الخاصة بالسياسة الخارجية .

وقد أرفق بالتقرير جدول تفصيلى للوسائل التى يجب أن تتبعها السياسة الخارجية الأمريكية لضمان الحريات الدينية وذلك فى المجالات :

- الديبلوماسية .
- السياسية .
- الثقافية .
- الاقتصادية .
- العسكرية .

وقد تم تصنيف الوسائل إلى نوعين :

وسائل ودية تعتمد على الإقناع - Friendly, Persuasive .

وسائل عدائية تعتمد على القسر - Hostile, Coercive .

إن العمل بين الجهات المعنية يتم بانسجام كامل وبمنهجية واحدة ، حتى المفردات المستخدمة والتوجيهات ، وتوضح لنا دورة التقارير والمناقشات والمشورات هذا الأمر . ويقرب لنا الشكل التالى إلى أى مدى التداخل بين كل الأطراف .

ويلاحظ كيف أكد التقرير السنوى الثانى الذى أصدره السفير المعنى بالحرية الدينية على الدور الذى لعبته المنظمات الدينية فى إصدار القانون ، كذلك دورها فى تطوير وتشكيل سياسات الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بحقوق الإنسان فى العالم . ويشار هنا إلى أن السفير روبرت سيبل الذى عين سفيرًا للحريات الدينية

كان على رأس أهم هيئة مسيحية أصولية على مدى أحد عشر عامًا وانتخب الرجل الكنسى الأول عام ١٩٩٤ .

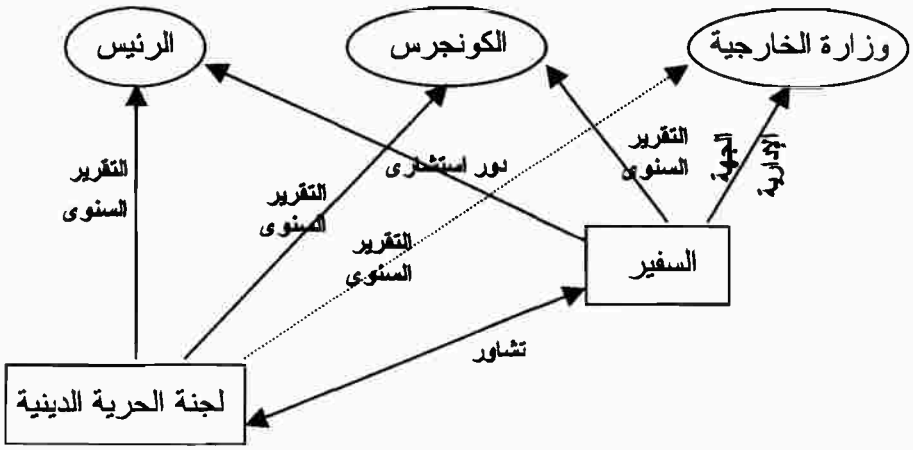

شكل رقم (٣)

أما عن وضع مصر فى هذه التقارير فإنها توضع ضمن التصنيف الثالث (دول تهمل التمييز / الاضطهاد الذى يمارس ضد الأقلية) وعلى الرغم من أن التقرير هذا العام قد رصد تحسنًا فيما يتعلق باحترام الحكومة للحرية الدينية ، إلا أن هناك بعض الملاحظات التى يمكن رصدها :

١ ـ لم يزل التقرير الخاص بمصر ينطلق من رؤية للأقباط باعتبارهم أقلية ، على الرغم من تأكيد التقرير للمرة الأولى على أن المسلمين والأقباط يشتركان معًا فى نفس التاريخ ، ولهما نفس الهوية القومية ، ولهم نفس الجذر العرقى ، ولهم ثقافة واحدة ، ويتحدثون نفس اللغة. الأمر الذى يعكس تأرجحًا فى محاولة التركيز على الأقباط باعتبارهم أقلية لها سمات خاصة من جهة ، وفى الوقت نفسه التأكيد التكاملى من جهة أخرى.

٢ ـ التركيز على التعامل مع الأقباط باعتبارهم كتلة واحدة ذات مصالح واحدة.

٣ ـ التركيز على الأقباط فقط دون غيرهم.

٤ ـ إدخال موضوع معاداة السامية بشكل مفاجئ فى سياق التقرير ، حيث تم رصد هذا الأمر فى الصحافة المصرية ، والقارئ للتقرير يشعر كما لو كان تم حشر هذا السطر حشرًا فلا صلة له بما قبله أو بعده. والمتابع للتقارير السابقة الخاصة بالحرية الدينية أو بحقوق الإنسان فى مصر يجد أنه دومًا يوضع هذا السطر.

٥ ـ لم يرصد التقرير الجهود المحلية المتنوعة فى مجال الحوار والتعاون الإسلامي المسيحي بل اكتفى بالرسمي منها.

٦ ـ وَضّح الدور الكبير المعطى للسفارة فى إعداد التقرير ومتابعة الموضوع وأشد ما يقلق هو ما ورد فى التقرير نصًا :

The Embassy investigates every complaint of religious discrimination brought to its attention ...

أى : إن السفارة حققت فى كل شكوى وردت إليها خاصة بالتمييز الدينى.

٧ ـ أوضح التقرير الدور الكبير لهيئة المعونة الأمريكية فى عدد من المجالات ولكن دون الإفصاح عن تفاصيل هذا الدور وطبيعته ومجالات النشاط التى يعمل بها.

* * *

خـــاتـــمـــة

وبعد ٠٠ لقد حاولنا بشكل مكثف الاقتراب من الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومعرفة رؤيتها الفكرية وطبيعة تعاملها مع المشرع وصانع القرار الأمريكيين ، وأخذنا قانون الاضطهاد الدينى / الحرية الدينية كنموذج للدراسة يكشف الدور الذى لعبته هذه الأصولية فى التعبئة والضغط واستصدار قانون فى النهاية خاص بالحرية الدينية يتم العمل به٠ كذلك حاولنا أن نكشف ما هو خفى وراء نصوص هذا القانون والأسباب الحقيقية وراء صدوره٠ ولا شك أن المواجهة تبدأ من الداخل بتطويره إلى المتابعة الدقيقة للنصوص والتحركات المختلفة٠ فالقانون إذا كان يتخفى وراء مقولات خاصة بالحريات والحقوق - وهو أمر لا يمكن رفضه - إلا أنه فى الواقع يحمى المصالح الأمريكية ويكرسها قوة عظمى وحيدة صاحبة حق فى إدارة شئون العالم٠

* * *

المصادر

(أ) باللغة العربية :

١- سمير مرقس ، الحماية والعقاب ، الغرب والمسألة الدينية فى الشرق الأوسط (من قانون الرعاية المذهبية إلى قانون الحرية الدينية) ، ميريت للنشر ، القاهرة ، يناير ٢٠٠٠ .

٢- جان بيارفيشو ، الحضارة الأمريكية (عرّبه وقدّم له خليل أحمد خليل) ، دار الفكر اللبنانى ، ١٩٩٢ .

٣- يوسف الحسن ، البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى - الصهيونى (دراسة فى الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) ، سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٠ .

٤- ريچينا الشريف ، الصهيونية غير اليهودية : جذورها فى التاريخ الغربى ، (ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز) ، سلسلة عالم المعرفة رقم (٩٦) ، ١٩٨٥ .

٥- محمد السماك ، الصهيونية المسيحية ، دار النفائس ، ١٩٩٣ .

٦ - چيل كيبل ، يوم الله : الحركات الأصولية المعاصرة فى الديانات الثلاث ، (ترجمة نصير مروة) ، دار قرطبة ، ١٩٩٢ .

٧- جميل مطر ، أمريكا تقحم الدين فى السياسة لإضعاف الكنائس الشرقية ، جريدة الحياة اللندنية ، ١٠/١٧/ ١٩٩٧ .

٨- يوسف الحسن ، الاتجاهات المسيحية المتهودة ، ورقة مقدمة إلى ندوة التراث الإبراهيمى والحوار الإسلامى المسيحى ، الفريق العربى للحوار الإسلامى المسيحى ومجلس كنائس الشرق الأوسط ، بيروت ، ٩-١٢ يوليو ١٩٩٨ .

٩- رضا هلال ، المسيح اليهودى ونهاية العالم ، مكتبة الشروق ، ٢٠٠٠ .

(ب) باللغة الإنجليزية :

1- (New Christian Right) In Peter Beyer, Religion and Globalization - Sage Publication, London, 1999, pp. 114 – 134.

2- William Martin, With God On Our Side : The Rise of The Religious Right In America - Broadway Books, 1996.

3- Ralph Reed, Active Faith : How Christians Are Changing The Soul Of American Politics - The Free Press, NY. 1996.

4- Paul Marshall, Their Blood Cries Out - Word Publishing, 1997.

5- Jeff Haynes, Religion In Global Politics - Longman, 1998.

6- J. Casanova, Public Religions In The Modern World - University Of Chicago Press, 1994.

7- Peter Willetts (Ed.), Pressure Groups In The Global System St. Martin s Press, New York, 1982.

* * *